العلاقات بين بعض القبائل المورية والرومان في سهل الغرب خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين : قبيلة الزيكَرينسيين نموذجا.

مصطفى أعشي
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

بعد أن قتل الرومان الأليد الموري بطليموس سنة 40 م، وقسموا مملكة موريطانيا إلى ولايتين : ولاية موريطانيا الطنجية، وولاية موريطانيا القيصرية، قامت ثورات وانتفاضات كثيرة ضدهم على طول وعرض مملكة موريطانيا. و لم تستقر الأمور إطلاقا لصالحهم، مما اضطر معه الرومان إلى استخدام الوسائل المتاحة لفرض السلام الروماني، منها بالطبع، الجيش والتحصينات أو الليمس، وكذا محاولة استمالة بعض القبائل القوية وزعمائها لتوقيع معاهدات سلام معها، ومنح المواطنة الرومانية لزعمائها.

ولدينا في تاريخ موريطانيا الطنجية أمثلة لهذه السياسة الرومانية منها :

- معاهدات السلام التي وقعت مع الباكوات والبالغ عددها ثلاثة عشر امتدت تقريبا على مدى 130 سنة، من سنة 150 إلى سنة 280م تقريبا.

- تم منح المواطنة الرومانية لبعض زعماء القبائل وخير مثال لها زعماء الباكوات والزيكَرينسيين.

لكن قبل الشروع في مناقشة هذه السياسة، يبدو أنه من الأحسن تقديم بعض الملاحظات حول مفهوم القبيلة، ودلالات كلمة المور، واستعراض القبائل التي كانت تستوطن سهل الغرب خلال القرن الثاني الميلادي.

ففيما يتعلق بالقبيلة، إن هذه الكلمة بمفهومها الحالي، غير مذكورة في النصوص الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية، إذ أن هذه النصوص عند حديثها عن سكان شمال إفريقيا تذكرهم تحت هذه المفاهيم Nation Gens[1]، أي بمعنى شعب أو أمة، مما يوحي بأن مفهوم القبيلة الذي استعمل فيما بعد، مفهوم دخيل على الفكر الأمازيغي.

وإذا عدنا إلى كلمة مور، فإننا نلاحظ أنه اختلف في معناها، إذ هناك من يرى أنها ذات أصل سامي، أي أنها تحريف إغريقي لكلمة ما هوريم الفنيقية التي تعني الغرب، وهناك من يرى أنها ذات أصل أمازيغي، وترتبط بكلمة أمور التي تعني النصيب أو الحصة أو الحمى، ومنها تامورث التي تعني الأرض أو الوطن الذي كان يعيش فيه الموريون ومنها كذلك أمورن ربي أي في حمى الرب.

بعد هذه الملاحظات ننتقل إلى الحديث عن مواطن القبائل التي كانت تعيش في سهل الغرب خلال القرن الثاني الميلادي.

1- مواطن القبائل في سهل الغرب في موريطانيا الطنجية خلال القرن الثاني الميلادي

تعرض العديد من النصوص القديمة الإغريقية واللاتينية إلى القبائل التي استوطنت موريطانيا الطنجية، سواء المنطقة الخاضعة لروما أو المنطقة الخارجة عن نفوذها، إلا أنه يلاحظ على هذه النصوص ما يلي :

أ- إن حديثها عن القبائل المورية لايتجاوز الإشارة إلى أسمائها ودون تحديد لمواقعها إلا في الحالات النادرة.

ب- إنها تذكر أسماء القبائل في صيغ محرفة، وذلك لاختلاف نطق الأسماء باللغة الأمازيغية عنها بالإغريقية أو باللاتينية، مما يؤدي إلى تحريف اسم

---

(1) Le Maroc chez les auteurs anciens 1924. (= Roget, Le Maroc).

القبيلة وصعوبة معرفة الإسم الأصلي.

ج- إن النصوص تذكر اسم القبيلة الواحدة بصيغ مختلفة، مما يؤدي إلى صعوبة التعرف عليها، فضلا عن تحديد مواطنها.

د- إن عددا كبيرا من أسماء المجموعات البشرية التي ذكرت في النصوص لا نجد لأسمائها صدى في أسماء القبائل الحالية.

هـ- نضيف إلى كل هذا، أن هذه المجموعات البشرية كثيرة الحركة ولا تستقر في مكان معين، لأسباب عسكرية أو سياسية أو اقتصادية، أو لهذه الأسباب كلها.

و- وإضافة إلى ما سبق، يلاحظ أن هناك عددا منها تغيرت أسماؤها أو اختفت، لأنها اندمجت مع أخرى؛ ففي كثير من الأحيان كان يكفي سيطرة مجموعة بشرية على أخرى لاختفاء إسم المجموعة المغلوبة وتألق اسم القوية.

كل هذا يزيد في تعقيد التوطين، علاوة على ذلك، فإن المصدر الإبيغرافي الذي كان يمكن أن يساعدنا في البحث وييسر لنا الأمر لن يشفي غليلنا، لأن النصوص الإبيغرافية التي عثر عليها لحد الآن، يقتصر أغلبها على تلك المتعلقة بمعاهدات السلام المبرمة بين قبائل الباكوات والرومان. وحتى هذه النصوص البالغ عددها ثلاثة عشر نصا لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى مواطن الباكوات.

ورغم كل هذه الإكراهات، سنحاول تحديد مواطن المجموعات البشرية خلال القرن الثاني الميلادي، معتمدين على المصادر المتوفرة، وسنتخذ كنقطة انطلاق أقرب النصوص القديمة لهذه الفترة وهو نص الجغرافي بطليموس[2]، الذي يذكر المجموعات البشرية المورية بالترتيب من الشمال إلى الجنوب، ومن الغرب إلى الشرق.

يتحدث عنهم بطليموس قائلا : "يسكن مناطق هذه الولاية من جهة المضيق الميطاونيط، ومن جهة البحر الإيبيري السوكوسي الذين يقعون مباشرة فوق الفيرف. ونجد جنوب منطقة الميطاونيط المازيس والفيربيكاي، وجنوب هؤلاء

(2) بطليموس : جغرافي إغريقي عاش في القرن الثاني الميلادي، ألف كتابه "وصف الأرض" عام 140م، يعطينا فيه معلومات عن موريطانيا الطنجية تتعلق بالثغور والرؤوس الواقعة على الساحل والجبال والقبائل والمدن الداخلية. وتكون معلوماته جد مفيدة عند الساحل، ويسهل تحديدها، إلا أنه كلما توغلنا معه في الداخل إلا ووجدنا صعوبة في تحديد مواقع ما يذكره نظرا لاعتماده على إحداثيات فلكية.

السالنسي والكاوني، ثم الباكوات، الذين يقع جنوبهم الماكينيت. أما بالنسبة للفيرف فيقع جنوبهم الوليليون، ويأتي بعد ذلك الياناوكاني، ثم في الأسفل النيكتبير الذين يذكر بعدهم السهل الأحمر ذو الإحداثيات التالية : 9°,30 و30°. ونجد بعد ذلك، ودائما في الاتجاه نحو الجنوب، الزيرينسي ثم البانيوباي والفاكوات. أما فيما يخص الشاطئ الشرقي فيستوطنه المورينسي وقسم من الهيربيديتاني"[3] (انظر الخريطة رقم 4).

يذكر بطليموس ست عشرة قبيلة أو مجموعة بشرية فقط، وبما أن هذا العدد لا يشمل كل المجموعات البشرية، فسنتعرض عند تحديد المواطن إلى المجموعات الأخرى التي لم يذكرها، وسنتبع في ترتيبها وتوطينها نفس الطريقة التي سلكها بطليموس الجغرافي: يعني من الشمال إلى الجنوب، ثم من الغرب إلى الشرق. ولكن هذا لا يعني إطلاقا أننا متفقون معه في تحديد مواطنها.

فما هي القبائل التي كانت تستوطن سهل الغرب آنذاك ؟

1-1- السوكوسي

يرى بطليموس بأن مواطنهم تقع مواجهة للبحر الإيبيري ويحدها من الغرب الميطاونيط، ومن الجنوب الفيرف، ولذلك فلربما تكون مواطن السوكوسي محصورة بين سبتة في الشمال ووادي لاو والفيرف في الجنوب (الخريطة رقم 1).

1-2- الفيرف

يشير إليهم بطليموس مرتين في نفس الفقرة : يضعهم في المرة الأولى جنوب السوكوسي، وفي المرة الثانية شمال الوليليين[4]. وقد يعني هذا أن مواطنهم تمتد بين مواطن السوكوسي على البحر الأبيض المتوسط، وبين مواطن الوليليين (نسبة إلى وليلي). وهذا التحديد جعل بعض المؤرخين، وعلى رأسهم ديزانج[5]، يربط بين كلمة الفيرف (الوريوري) ونهر ورغة. ونظرا لما ذكره بطليموس وما ذهب إليه

---

(3) Ptolémée, IV, 1,5 ; Roget, le Maroc, p.37-38.

(4) Ptolémée, IV, 1,5.

(5) Desanges. J, Catalogue des tribus africaines dans l'Antiquité classique à l'Ouest du Nil, Dakar 1962, pp. 34 et 39 (Desanges, Catalogue).

ديزانج، فليس من المستبعد أن تكون مواطنهم قرب ضفاف نهر ورغة الذي ينبع من جبال الريف والرافد الأيمن لنهر سبو (الخريطة رقم 1).

1-3- المازيك أو المازيس أو أمازيغ

يذكرهم بطليموس مرتين: مرة في موريطانيا الطنجية[6]، وأخرى في موريطانيا القيصرية[7]. فبالنسبة للطنجية كان المازيس يستوطنون منطقة تقع بين الميطاونيط والفيربيكاي، و قد افترضنا أن الميطاونيط يستقرون على شاطئ مضيق جبل طارق، أما الفيربيكاي، فالمرجح أنهم كانوا يستوطنون المجرى الأوسط لنهر سبو. فإذا كان الأمر كذلك، فإن المازيس يكونون محصورين بين القبيلتين، وكانوا يستوطنون المنطقة الفاصلة بين نهر تمودا (مارتيل) في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب (الخريطة رقم 1).

والجدير بالذكر هنا، أن كلمة المازيك مثل كلمة المور نجدها لدى العديد من القبائل المورية. فالمازيك أو المازيس أو أمازيغ كلمات مشتقة من الجذر م.ز.غ. (M.Z.G)[8] يعني أمازيغ ج إمازيغن.بمعنى السادة النبلاء أو الأحرار، ولا يزال السكان الأصليون في المغرب – إلى يومنا هذا – يطلقون على أنفسهم الأمازيغ. فإذن هي كلمة ذات مدلول عام وتشمل عددا من التجمعات القبلية المورية، سواء في موريطانيا الطنجية، أو موريطانيا القيصرية، أو نوميديا، وإفريقيا، أو ليبيا، ودون تحديد دقيق لمواطنها.

هذا، ويعتقد كانيا[9] أن أمازيغ موريطانيا الطنجية ليسوا إلا امتدادا أو جزءا من أمازيغ القيصرية الذين كانوا مستقرين شرق تيبازا[10].

---

(6) Ptolémée, IV, 1,5.

(7) Ibidem.

(8) Desanges, Catalogue, p .34.

(9) Cagnat.R, l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris 1913, p.84 (Cagnat, l'armée).

(10) تيبازا موقع أثري يقع غرب العاصمةالجزائرية.

1-4- الفيربيكاي أي الويربيكاي

يحدد بطليموس[11] مواطنهم بين الميطاونيط في الشمال والسالينسي (نسبة إلى سلا ونهر سلا وهو الذي يحمل حاليا إسم بوررا) والكاوني في الجنوب، وليس من المستبعد أن تكون للفيربيكاي علاقة بمدينة فوبريكس أو بيريكس التي حدد بطليموس إحداثياتها على الشكل التالي : 9,30° و34,15° : يعني عند خط طول موقع تموسيدا مع الاتجاه قليلا نحو الشرق أو شمال شرق وليلي[12]. ومع ذلك فمن الصعب تحديد موقع هذه المدينة التي قد تكون، نظرا للتشابه الموجود بينها وبين اسم القبيلة، أهم مدينة لدى الفيربيكاي.

أما بالنسبة لمواطن الفيربيكاي، فإشارة بطليموس[13] تدفعنا إلى وضع مواطنهم في سهل الغرب حوالي المجرى الأوسط لنهر سبو، وغرب قبيلة الفيرف (الوريوري) التي تستوطن ورغة. ويبدو أن كلمتي الفيربيكاي والفيرف تشيران إلى وجود تشابه بينهما، وبالتالي تقارب بين القبيلتين. فهل هما تحريفان لاسم قبيلة واحدة، أم أنهما قبيلتان مستقلتان لا رابط بينهما إلا القرابة الجغرافية فقط ؟ (الخريطة رقم 1).

وفيما يتعلق بالفيربيكاي، أفلا يكمن الربط بينها وبين قبيلة أوربة التي كانت تستقر في القرن التاسع الميلادي بكتلة جبل زرهون ووليلي، والتي استقبلت ادريس بن علي مؤسس الدولة الإدريسية، الذي فر من الجزيرة العربية بعد هزيمة العلويين في معركة فخ أمام العباسيين.

1-5- الوليليون

يذكرهم بطليموس جنوب الفيرف (الوروي)[14]. وإذا صح ما قلناه من أن نهر ورغة كان موطن الفيرف، فالوليليون يقعون جنوب الفيرف، يعني جنوب نهر ورغة. هذا إذا كانت كلمة الوليليين تعني قبيلة وليس فقط سكان مدينة وليلي. فإذا

---

(11) Ptolémée IV, 1,5.

(12) Roget, Raymonde, Index de topographie antique du Maroc, *P.S.A.M*, 8, 1938. p. 60 (Roget R, index).

(13) Ptolémée, IV, 1,5.

(14) Ibidem.

كان المقصود بالكلمة القبيلة فستكون المدينة (وليلي) عاصمتهم التي قاموا ببنائها وأطلقوا عليها اسما مأخوذا من إسم قبيلتهم وليس من فولوكس ابن بوكوس كما رجح كل من كاجي (Gagé)[15] ولوكي (Luquet)[16] الخريطة رقم 1.

والملاحظ أن كلمة وليلي قريبة من الكلمة الأمازيغية أليلي التي تطلق على نبات شوكي[17]، فهل هذا النبات الذي لا يزال منتشرا في المنطقة التي يوجد بها الموقع هو الذي أعطى للقبيلة، وبالتالي للمدينة هذا الاسم أو العكس؟. من المرجح أن هذا الاسم هو الأصل في اسم المدينة، وبالتالي القبيلة (خريطة رقم 1).

1-6- الياناوكاني

يذكرهم بطليموس بعد الوليليين ويضعهم شمال النيكتبير[18]، ولا ندري ماذا يقصد بطليموس بما بعد الوليليين ؟ فإذا كان الياناوكاني يقعون جنوب الوليليين، فمن المرجح أن مواطنهم كانت تشمل منابع بهت وبورقراق:يعني أنهم جاوروا الماكينيت الذين سكنوا جنوبهم وفي غربهم.

أما إذا كان المقصود هو غرب الوليليين فستتضمن مواطن الياناوكاني المجرى الأوسط لوادي بهت وشرق المعمورة، يعني أنه في كلا الافتراضين نجد الياناوكاني يستوطنون جزءا من وادي بهت.

كما يلاحظ تشابه بين الكاوني والياناوكاني، فهل هناك تقارب بينهما ؟ وهل هما قبيلة واحدة ؟ فإذا كان الأمر كذلك فيمكن اقتراح منابع بورقراق. أما بالنسبة للياناوكاني فالمحتمل أنها كانت بين وادي بهت ومنابع نهر أم الربيع.

(15) Gagé.J, Nota das origens e do nome da antiguidate de Volubilis, Universita de Sao Paulo, de filosofia, cien et cet, Blono 2, 1940.

(16) أرمان لوكي : اشتغل في الأصل كرسام في مصلحة الآثار ثم أصبح محافظا لموقع وليلي وقام بمحاولات لترميم عدد من الأبنية بالموقع وخاصة البازيليكا والكابيطول، وهو يدافع عن نفس الفكرة في تقرير خاص موجه إلى مصلحة الآثار سنة 1975.

(17) هذا النبات (أليلي) منتشر حول وليلي ويعرف بالدارجة المغربية بالدفلة، وبالفرنسية Laurier-rose.

(18) Ptolémée, IV, 1,5.

وحاول فيفيان دوسان مارتان[19] – كعادته – أن يجد صدى اسم قبيلة الياناوكاني في قبيلة ازغنغن الواقعة جنوب الناظور، اعتمادا على الحسن الوزان (ليون الافريقي)[20]. إلا أن هذه الفكرة فيها نظر، لأن بطليموس يذكر بأن المنطقة الشرقية من موريطانيا الطنجية كان يسكنها المورينسي وجزء من الهيربيديتاني[21] (خريطة رقم 1).

7-1- البانيوباي أو البانيوراي

يتعرض لهم بطليموس[22] بعد الزيرينسي، ويضع كلا من الزيرينسي والبانيوباي جنوب السهل الأحمر. فاعتمادا على الافتراضات المتعلقة بالسهل الأحمر، فإما أن تكون مواطنهم بجانب الزيرينسي عند منابع تانسيفت النازلة من السفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي، وإما في السفوح الشمالية الغربية للأطلس الكبير الأوسط، عند منابع وادي تساوت ووادي ردْات بجانب الزيرينسي. أما إذا اعتبرنا السهل الأحمر هو سهل الغرب، حسب رأي أوزينا[23]، فستكون مواطنهم بين وليلي وكيلدا: يعني من شمال وليلي إلى نهر ورغة. وهناك إشارة لبطليموس[24] تسير في هذا الاتجاه حينما يذكر البانيوباي مع الفاكوات (Vacuates).

أما بلينوس الشيخ، فيشير إليهم بين المحيط الأطلسي ونهر مالفا (ملوية)[25]، ويحدد مواطنهم مباشرة قبل الاطلول[26]. وبالنسبة للجغرافي رافينا[27] فيضعهم بين

(19) Vivien de Saint Martin, Le Nord de l'Afrique dans l'Antiquité, p. 409.

(20) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمه من الفرنسية محمد حجي والأخضر غزال، ط 2، 1989، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 1، ص 34.

(21) M. Euzennat et W.Seston, la table de Banasa, CRAI, 1965, pp. 317-323.

(22) H. Morestin, Le dieu au chef cornu de Banasa, Hesperis-Tamuda, vol .II, fasc 2-3, 1961, pp. 337-344. (= Morestin,le dieu).

(23) Ptolémée, IV, 1,5.

(24) La table de Banasa, p. 470.

(25) Ptolémée, IV, 1,5.

(26) Pline, H.N, V ,17.

(27) الأوطولول الذين يقول عنهم بلينوس الشيخ أنه يجب اجتياز أراضيهم عند الانطلاق من سلا إلى الأطلس Pline, V 5.

طوكولوسيدا ووليلي من جهة، ويلدا من جهة أخرى. وتقع يلدا – حسب رأي صاحب مسالك أنطونين[28] – شمال وليلي على بعد 28 ميل (42 كلم) على طريق أوبيدم نوفوم[29].

واعتمادا على كل هذا فإن البانيوباي أو البانيوراي كانوا يستوطنون إما السفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي، وإما منابع وادي تساوت ووادي ردات في السفوح الشمالية الغربية للأطلس الكبير الأوسط، وإما بين وليلي ويلدا. في الوقت الذي يرى فيه ديزانج[30] أن مواطنهم تقع بين فاس وتازة، وهذا رأي قريب من رأي صاحب مسلك انطونان. أو أنهم كانوا في الفترة التي جمع فيها بطليموس معلوماته عنهم يستوطنون السفوح الشمالية أو الشمالية الغربية للأطلس الكبير. وفي عهد صاحب مسلك انطونان انتقلوا من الجنوب إلى الشمال واستقروا بين وليلي ويلدا ربما لأنهم كانوا موالين للرومان (الخريطة رقم 1).

فسواء كان السهل الأحمر هو المنطقة المحصورة بين نهر أم الربيع وتانسيفت أو الواقعة غرب مراكش، فإن مواطنهم تتأرجح بين شمال نهر أم الربيع وشمال نهر تانسيفت.

1-8- مواطن الزيرينسيين

إلى وقت قريب، كان جميع المهتمين بدراسات مواطن القبائل الموريطانية يموقعونهم في وسط المغرب، ما بين نهر أم الربيع شمالا والأطلس الكبير جنوبا، اعتمادا على إشارات للجغرافي بطليموس الذي يضعهم "جنوب السهل الأحمر"[31]. وبطليموس هو الكاتب الوحيد الذي ذكر الزيرينسيين ضمن سكان موريطانيا الطنجية، وحدد مواطنهم جنوب السهل الأحمر. فما المقصود بالسهل الأحمر ؟ فهل هو الأراضي الحمراء الواقعة جنوب نهر أم الربيع والتي تمثل هضاب الرحامنة : أم هو "البحيرة الحمراء" الواقعة قرب مراكش والمحصورة بين نهر

---

(28) Géographe de Ravenne, III, 11.

(29) Itinéraire d'Antonin, pp. 9 et 23.

(30) Desanges, catalogue, p.27.

(31) Ptolémée, IV, 1,5.

تانسيفت والأطلس الكبير؟ أم هو عبارة عن منطقة محصورة بين جنوب جبال الريف وسهل الغرب ؟

وبما أن لائحة القبائل التي اعتمدها بطليموس تقتصر فقط على القبائل الواقعة مجالاتها داخل ولاية موريطانيا الطنجية، أو لها علاقة بالولاية إما لأسباب سياسية أو عسكرية، فهذا يعني أن بطليموس تحدث عن القبائل الواقعة تحت النفوذ الروماني أو لها علاقة ما بمنطقة النفوذ الروماني. وعليه، فيجب أن نبحث عن مجالات الزيرينسي بعيدا عن جبال الأطلس الكبير، وفي منطقة قريبة من الموقع الذي تم العثور فيه على وثائق أثرية لها علاقة بالقبيلة، وهو موقع بناسا الذي عثر فيه على شاهد يحمل منحوتة تمثل الرب ورزيل الموري الخاص بالبقر[32]، بالإضافة إلى نصوص إبيغرافية[33] تعود إلى القرن الثاني الميلادي (صورة رقم 1) والتي تتحدث عن منح المواطنة الرومانية لزعيم القبيلة ولزوجته ولأولاده، ثم بعد موته منحت لإبنه الذي خلف أباه، ولزوجته ولأولاده. وهذا ما شجع أوزينا على القول بأن الزيرينسي كانوا يسكنون المنطقة القريبة من بناسا، يعني في سهل الغرب بين نهر سبو وروافده بهت، باعتبار أن السهل الأحمر هو سهل الغرب وليس البحيرة الحمراء قرب مراكش أو هضبة الرحامنة جنوب واد أم الربيع.

ويبدو أن وجود هذا النص الإبيغرافي ببناصا، كان الهدف منه إخبار أبناء قبيلة الزيكرينسي، الذين يزورون المدينة بالتكريم الذي حصل عليه زعيمهم، وفي نفس الوقت دفعهم إلى قبول وجود الحكم الروماني. ولا يبدو أنه من المنطقي أن يكون زعيم الزيكرينسيين وعائلته يسكنان مع قبيلتهم قرب مدينة مراكش، بينما يتم العثور على نص يتعلق بهم ببناسا على ضفاف نهر سبو. يفترض المنطق أن نعثر

(32) Morestin H, le dieu.., pp. 336-344.

(33) Seston et Euzennat, un dossier de chancellerie romaine : la Tabula Banasitana, étude de diplomatique, CRAI, 1971, pp. 468-430 ; Seston, la citoynneté romaine, XIIe Congrès international des sciences historiques, Moscou 1970 ; Seston et Euzennat, un Dossier de la citoyenneté romaine au temps de Marc- Aurèle et Commode d'après la Tabula Banasitana, CRAI, I, 1961, pp. 317-324 e, BAM, II, 1957, pp. 65-116. (= Frézouls, les Baquates,) ; Di Vita-Evrard .G, L'édit de Banasa : un document exceptionnel, Africa Romana , Atti del V convegno di studio, 1988, pp.287-298.

عليها، مثلا في موقع سلا أو موقع تموسيدا، وهما الموقعان الأقربان إليهم ؛ وعليه، فيبدو أن القبيلة كانت تستوطن منطقة قريبة من بناسا. ونظرا لرغبة الرومان في استمالتها وجعلها قبيلة موالية لهم، منحوا زعيمها المواطنة مع الاحتفاظ بكامل حقوقه داخل قبيلته، وذلك حتى يؤثر عليها ويجعلها تسير في فلك الرومان.

ومما يرجح هذا الافتراض،هو العثور على مؤشرات أثرية أخرى تعود لعهد الاحتلال الروماني بالمنطقة، منها نقود بفاس البالي، وعين مديونة قرب تاونات، وبقايا أبنية ما قبل إسلامية قرب هذين الموقعين، ومقابر أمازيغية غير بعيدة عنهما.

وإذا حاولنا البحث عن اسم الزيكرينسي في أسماء القبائل الحالية، فيرى فيفيان دوسان مارتان أن اسمها نجده في قبيلة السراغنة التي تقع مواطنها الحالية شمال شرق البحيرة الحمراء ومراكش.

كما أنه ليس مستبعدا أن يكون اسم الزيكرينسين مستمدا من الكلمة الأمازيغية "أزكَر" التي تعني البقر أو البقريات بصورة عامة. فإذا كان اسم القبيلة بالفعل موافقا لهذا الافتراض، فهذا يعني أننا أمام قبيلة مورية تحمل هذا الاسم، لأنها كانت تعتمد في نمط عيشها على تربية الأبقار، كما أنه من المرجح أيضا أن يكون اسم القبيلة مشتقا من "أزغار" الذي يعني مجال الانتجاع في السهل خلال فصل الشتاء.

وسواء كان اسم القبيلة مستمدا من «أزر» الذي يعني البقر أو من «أزغار» الذي يعني مكان الانتجاع، فإن هذا يجعلنا أمام قبيلة تعيش على تربية الماشية في مجال يهم منطقة جبلية وأخرى سهلية. ومما يرجح أنهم يربون البقر وأن مجالهم كان يمتد بين السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الريف، والمجرى الأوسط لنهر سبو، هو العثور – كما أشرنا سابقا – على مجموعة من الوثائق الأثرية لها علاقة بهذه القبيلة في موضع بناصا الأثري، منها شاهد يحمل منحوتة تمثل الرب الأمازيغي ورزيل الخاص بالبقر (صورة رقم 2)، بالإضافة بالطبع إلى الوثائق المتعلقة بمنح المواطنة الرومانية لزعيم قبيلة الزيرينسي.

2- علاقات الرومان بزعماء الزيكرينسيين

يعتبر منح المواطنة الرومانية نموذجا آخر من العلاقات بين المور والرومان، وفيه يظهر الدور الديبلوماسي الذي يلعبه الولاة الرومانيون في موريطانيا الطنجية، ومختلف الوسائل التي يستخدمونها لإيجاد الأشخاص المضموني الولاء، واقتراحهم للمواطنة الرومانية، التي لا يحصل عليها إلا بعد الموافقة عليها من طرف الإمبراطور، وبعد التأكد من مكانة الشخص المقترح وأهميته في قبيلته.

وهذه السياسة هي التي يمكن أن نسميها برومنة الملوك والأمراء والشخصيات والأعيان وزعماء القبائل، والتي كانت تستهدف إدماجهم في إطار العالم الروماني، وفي نفس الوقت وضع حد لرفضهم للرومان وإيقاف هجومات قبائلهم على حدود وولاية موريطانيا الطنجية، لأنه عن طريق مراقبة ملوك وأمراء وزعماء وأعيان القبائل يمكن مراقبة القبائل الثائرة وكبح جماحها.

وفي هذا الإطار يبرز دور الوالي أووكيل الإمبراطور الروماني الذي كان يبذل نشاطا دبلوماسيا مكثفا، وكانت تحركاته ترمي إلى مهادنة القبائل القوية والحفاظ على علاقات سلمية معها، وذلك دون استخدام إمكانيات كبيرة باستثناء الوسائل السياسية والدبلوماسية وبالطبع الدسائس والمال.

ان استمالة ملوك وأمراء وأعيان وزعماء القبائل وورومنتهم، يعتبر أيضا مصدرا من مصادر المعلومات – حول ما يجري وما يهيأ داخل القبائل –، بالإضافة إلى معلومات قادة المعسكرات والقلاع الذين يستطيعون إخبار الإدارة الرومانية بتحركات القبائل. وبالطبع فإن النشاط السياسي الروماني لم يكن مقتصرا فقط على قبيلة دون أخرى، بل كانت روما تحاول متابعته مع كل أمراء وزعماء القبائل الأخرى. وعلى الرغم من أننا لا نعرف شيئا عن علاقات البافار والماكنيت بالرومان – إلا عن طريق الباكوات(34) – إلا أن هذا لا يمنعنا من التفكير في وجود نقائش ونصوص خاصة بهم. ولذلك فقد بذلت روما جهودا لمراقبة مجموع القبائل القريبة من المراكز الرومانية، إما بواسطة المعاهدات (الباكوات والبافار،

---

(34) Ed. Frézouls, Les Baquates et la province romaine de Tingitane, *B.A.M.*, II, 1957, pp. 371-324.

والماكنيت)، أو بالتبعية. وعليه أفلا يمكن اعتبار القبائل المورية المستقرة داخل أراضي الولاية، قبائل موالية للرومان ؟ وفيما يتعلق بالأوطولول، فمن المعروف أن بلينوس الشيخ يعيد الصعوبات التي واجهتها سلا سنة 144م إليهم[35] بينما نقيشة تكريم سولبيكيوس فيليكس التي عثر عليها بموقع سلا (شالة)، لا تتحدث إلا عن اللصوص دون ذكر أسمائهم[36]. وهذا ما قد يوحي بوجود أوطولول موالين للرومان وأوطولول معادين لهم، مما فرض ربما على سولبيكيوس فيليكس التصرف بحذر لاستعادة النظام والأمن في ضواحي سلا قصد الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع الأوطولول.

ويبدو أن قبيلة الزيرينسيين كانت قوية، وتتضمن ربما عشائر متعددة، إذ كشفت لوحة برونزية ببناسا[37] (صورة رقم 1) تضم ثلاثة نصوص لاتينية تتحدث عن علاقات أحد زعمائهم بالرومان، وتتضمن النصوص ما يلي :

النص الأول الأصل اللاتيني :

Exemplum episluae Imperatorum nostrorum. An (toni) ni et Veri Augustorum ad Coiiedium Maximum : / li (i) bellum Iuliani Zegrensis Litteris tuis iunclum legimus, et quamquam ciuitas romana non nisi maximis meritis pro/uocata in/dul/egntia principali gentilibus istis dari solita sit, / tamen cum eum adfirmes et de primoribus esse popularium / suorum, et nostris rebus prom (p) to obsequio fidissimum, nec/ multas familias arbitraremeur apul Zegrenses paria pos/s (e) de officiis suis praedicare quamquam plurimos cupiamus ho/nore a nobis in istam domum conlato ad aemulationem iuli/ani excitari, non cunctamur et ipsi Ziddinae uxori item/ liberis Iutiano. Maximo. Maximino. Diogeniano, ciuitatem/ romanam saluo iure gentis, dare[38].

(35) Pline l'ancien H.N, V, 5.

(36) مصطفى أعشي، نص قرار بلدية سلا والظروف المحيطة به، مجلة أمل، عدد 27 السنة 9، ص. ص 221-240.

(37) Euzennat M, Les Zegrenses, Mélanges d'Histoire ancienne offerts à W. Seston, Publications de la Sorbonne, Série étude, T.9, 1974, pp. 175-186 (Euzennat, les Zegrenses).

(38) Seston et Euzennat, un dossier, op.cit , p. 472.

مضمون النص الأول باللغة العربية :

رسالة الأباطرة ماركوس أوريليوس (161-180) ولوكيوس فيروس (161-169) إلى حاكم موريطانيا الطنجية كوويديوس ماكسيموس جوابا على رسالة هذا الأخير، والذي يمنح فيه المواطنة الرومانية إلى أحد زعماء قبيلة الزيربنسي المسمى يوليانوس الزيرينسي وزوجته زيدينا وأبنائه.

النص الثاني : الأصل اللاتيني :

Exemplum epistulae Imperatorum Antonini et Commodi Augs(torum) ad Vallium Maximianum/legimus libellum principis gentium Zegrensium, animadverti/musq (ue) quali fauore Epidi Quadrati praecessoris tui iuuetur pro/inde et illius testimonis et ipsius meritis et exemplis/quae allegat permoti, uxori filiisq (ue) eius ciuitatem romanam, sal/uo iure gentis, dedimus, quod in commentarios nostros referri/possit, explora quae cui (i) usq (ue) aeta (_s) sit, et seribe nobis.

Descriptum et recognitum ex commentario cuitate romana/donatorum diui Aug(usti) et Ti (beri) Caesaris Aug-usti), et C(aii) Caesaris, et diui Claudi,/et Neronis, et Galbae, et diuorum Aug(ustorum) Vespasiani et Tili et Caesaris/ Domitiani, et diuorum Aug(storum) Ner(_u) ae et Trai (i) ani Parthici, et Trai (i) ani Hadriani, et Hadriani Antonini Pii, et Veri Germanici Medici/Parthici Maximi et Imp (eratoris) Caesaris M(arci) Aureli Antonini Aug(usti) Germa/nici Sarmatici, et Imp (eratoris) Caesaris L (ucii) Aureli Commodi Aug(usti) Germanici Sar/matici, quem protulit Asclepiodotus lib (ertus), id quod i (nfra) s (criptum) est [39].

مضمون النص الثاني باللغة العربية :

رسالة الأباطرة ماركوس أوريليوس وكمودوس (180-192) إلى حاكم موريطانيا الطنجية فاليوس ماكسيميانوس بناء على تدخل سلفه ايبديوس كوادراتوس ينعمان فيها بالمواطنة الرومانية على زوجة أوريليوس يوليانوس زعيم قبيلة الزيرينسي وعلى أبنائه.

---

(39) Ibidem.

النص الثالث : الأصل اللاتيني :

Imp(eratore) Caesare L(ucio) Aurelio Commodo Aug(usto) et M(arco) Plautio Quintilio co(n)s(ulibus), p(ridie) non (as) Iul (ias), Romae.

Faggura uxor Iuliani principis gentis Zegrensium ann (orum) XXII, / Iuliana ann (orum) VIII, Maxiama ann (orum) IV, Iulianus ann (orum) III, Diogenia / nus ann (orum) II, Liberi Iuliani s (upra) s (cripti).

Rog(atu) Aureli Iuliani principis Zegrensium per libellum, suffra/ gante Vallio Maximiano per epistulam, his civitatem romanam de / dimus, saluo iure, iure gentis, sine diminutione tributorum et vect (i) gali/um populi et fisci.

Actum oedem die, ibi, isdem co (n) s (ulius).
Asclepiodotus lib (ertus), recognovi.
Signaverunt :

M(arcus) Gau(i)us M(arci) f(ilius) Pob(lilia tribu) Squilla Ga (l) - licanus.
M(arcs) Acilius(Marci) f (ilius) Gal eria tribu) Glabrio
(Titus) Sextius T (iti) f (ilius) Vot (uria tribu) Lateranus
C (aius) Septimius C (aii) F (itius) Qui (rina tribu) Serverus
P (ublius) Iulius C (aii) F (ilius) Ser(gia tribu) Scapula Tertul (l) us
T (itus) Variuas T(iti) f (ilius) Cla (udia tribu) Clemens
M(arcus) Bassaeus M(arci) f(ilius) Stel (latina tribu) Rufus
P (ublius) Taruttienus P(ublii f(ilius) (Pob(lilia tribu) Paternus
Sex.. nis ?
Q(uintus) Cervidus Q(uinti) f(ilius) Arn(ensi tribu) Scaeuola
Q(uintus) Larcius Q(uinti f(ilius) Qui(rina tribu) Euripianus
T(itus) Fl(auius) T (iti) f (ilius) Pal(atina tribu) Piso[40].

مضمون النص الثالث باللغة العربية :

نسخة من السجل الإمبراطوري الحامل لاثني عشر توقيعا، والذي يسجل القرار القاضي بمنح المواطنة الرومانية إلى فورة زوجة أوريليوس يوليانوس وإلى أبنائه.

40- Ibidem. (40)

وقد جمعت هذه الكتابات الثلاث وعلقت في فوروم موقع بناصا (الصورة رقم 2).

وترجمة النصوص الثلاثة كالتالي :

النص الأول : يتعلق بمنح المواطنة الرومانية ليوليانوس الزيرينسي وزوجته زيدينا وأبنائه : "نسخة من رسالة أباطرتنا انطونينوس وفيروس الاغسطسين إليكوييديوس ماكسيموس : لقد اطلعنا طلب الزيرينسي يوليانوس المرفق برسالتك، وعلى الرغم من أنه ليس من العادة أن نمنح المواطنة الرومانية إلى أشخاص ينتمون لأمثال هذه القبائل، إلا أن الخدمات التي قدمها أثارت الحظوة الامبراطورية، وهذا اعتمادا على شهادتك التي تؤكد أن هذا الشخص يعتبر من نبلاء قومه، وأنه أظهر إخلاصه الكامل وتفانيه النهائي ؛ واعتبارا أيضا بأننا نستطيع أن نفكر بأنه لم يعد بين قبيلة الزيرنسي عشائر قادرة على أن تقوم بنفس أعماله، وذلك على الرغم من أننا نرغب في أن يتخذ الكثيرون مما فعله يوليانوس قدوة، فإننا لم نتردد في الإنعام على هذه العائلة بالشرف، وذلك بمنحها المواطنة الرومانية، – دون أن يصاحبها التخلي عن حقوقهم في قبيلتهم – له هو، وأيضا لزيدينا زوجته، ولأبنائهما، يوليانوس وماكسموس وماكسيمانوس وديوجنيانوس".

يعتبر هذا النص الرسالة الجوابية التي بعثها الإمبراطوران ماركوس أوريليوس انطونينوس، وفيروس إلى وكيلهما بموريطانيا الطنجية، يمنحان فيها المواطنة الرومانية للنبيل الزيرنسي ولزوجته ولأولاده، بناء على طلب هذا الأخير وبموافقة وكيل الإمبراطور في موريطانيا الطنجية.

ويبدو من خلال النص أن يوليانوس الزيرنسي كان شخصية مرموقة في قبيلته، وأنه قام بأعمال لصالح روما، بالإضافة إلى وفائه وولائه التامين للرومان. ولهذا فقد أنعم عليه الإمبراطور بالمواطنة اعتبارا لكل هذا. ويحق لنا أن نتساءل عن نوع الأعمال التي قام بها يوليانوس الزيرينسي لصالح الرومان: فهل لعب دورا في رومنة عشيرته أو قبيلته، أوأنه قام بدور خارج حدود قبيلته، كالإسهام مثلا في محاربة القبائل الأخرى المعارضة للرومان ؟

وهل ساهم بعشيرته في تهدئة عشيرة أخرى من قبيلته، وبالتالي فرض الاتجاه الموالي والمسالم للرومان ؟

أو أنه قام على رأس عشيرته بكل هذه الأعمال ؟

لحد الآن ليس هناك أي شيء يساعدنا عن الإجابة على هذه الأسئلة، إلا أنه يبدو أن جزءا – على الأقل – من قبيلة الزيرينسي – إذا لم يكن الكل – يمثل منطقة هادئة على خريطة ولاية موريطانيا الطنجية ومواليا للرومان.

وبما أن النص يشير إلى انعدام وجود عشائر أخرى لدى الزيرينسي يمكن أن تنافس عشيرة يوليانوس أو تتباهى بخدمة الرومان ؛ فهذه إشارة غير مباشرة إلى وجود نوع من التنافر والصراع حول زعامة الزيكَرينسي بين العشائر المكونة للقبيلة. وقد تمكنت عشيرة يوليانوس من البروز بين العشائر والفوز برضى التعامل مع الرومان. ولا ندري هل كانت باقي العشائر تتصارع من أجل الفوز برضى الرومان، أم أن الصراع كان من نوع آخر، ويقتصر فقط حول زعامة القبيلة، ثم بعد ذلك توجه القبيلة حسب رغبة زعيم العشيرة الغالبة؟

على كل، يبدو أن العشيرة التي كان يتزعمها يوليانوس انتصرت على باقي مكونات قبيلة الزيرينسي – ربما بمساعدة الرومان – وذلك بعد التأكد من ولائه. ولضمان استمرار ولائه إلى جانبهم بصفة نهائية منحوه المواطنة الرومانية[41] مع

(41) في روما، كان حق المواطنة يتضمن مجموعة من الحقوق العمومية والخصوصية التي يمكن التمتع بها كليا أو جزئيا وأهم هذه الحقوق : الزواج المشروع، وحق التملك وحق البيع، وحق كتابة الوصية، وحق المساهمة بالتصويت في الحياة السياسية للمدينة، وحق استئناف الحكم أمام الجمعيات، وهذه الحقوق يتمتع بها المواطنون الكاملو الحقوق. أما المواطنون الذين لايتمتعون بكل الحقوق فيسمون بمواطني الطبقة السفلى، ومصدرهم الفتوحات، ولا يتمتعون بالحقوق السياسية والمواطنون بالولادة هم الذين حصلوا عليها فرادى أو بصورة جماعية أو بعتق العبيد وأسرى الحروب. كما كانت تمنح أيضا عن طريق اقتراح الولاة والمفكرين والأباطرة. ومن الممكن أن يفقد المواطن الروماني صفة المواطنة إذا بيع كعبد أو إذا صدرت ضده أحكام.
وكانت المواطنة الرومانية لا توزعها روما إلا بكميات قليلة، إلا أنه مع ذلك يلاحظ أن هناك تدرج في توزيعها، والمرحلتان الأساسيتان هما: منح هذا الحق لكل الإيطاليين بعد الحرب الأهلية سنة 90 ق.م – 88 ق.م، ثم تعميم هذا الحق على كل الرجال الأحرار في الإمبراطورية سنة 212 أو 213 ق م (قانون كراكلا). كان المتخصصون في دراسة منح المواطنة الرومانية يميلون إلى أن تطور منح المواطنة الرومانية أدى إلى إلغاء الحقوق المحلية وحقوق القبيلة، وبالتالي إلغاء المواطنة المزدوجة، ولكن العثور على لوحة بناصا أظهرت العكس وأن الحصول على المواطنة الرومانية لا يعني إلغاء حقوق القبيلة. وهذا راجع بالطبع إلى أن الإدارة الرومانية لم تكن تريد مواجهة الخصوصيات المحلية، بالإضافة إلى أنها تريد التأثير على القبيلة بواسطة الشخص الذي منحته المواطنة الرومانية مع الإبقاء على حقوق القبيلة الكاملة.

الاحتفاظ بحقوقه الكاملة بين قبيلته. وكان من الواجب أن يبقى كذلك حتى يتمكن من توجيه الزيرينسي الوجهة التي تريدها روما الرامية إلى تقوية التيار المسالم لها.

والملاحظ أن الرسالة الجوابية للإمبراطورين كتبت في أواخر عهد الحكم المشترك لماركوس أوريليوس (161-180) ولوكيوس فيروس (161-167) لأن اسم وكيليهما كوويديوس ماكسيموس مذكور في كتابة نصب تذكاري عثر عليه في تنقيبات الباب الشمالي الغربي لسور وليلي، والذي يعود إلى سنة 168-169م ؛ مما يرجح أن زعيم الزيرينسي يوليانوس وزوجته زيدينا وأبناءه يوليانوس وماكسيموس وماكسيميانوس وديوجينيانوس حصلوا على المواطنة الرومانية سنة 168-169م، أي في نهاية عهد الإمبراطورين، وفي نفس الوقت الذي بني فيه سور وليلي وبناسا مما يشير إلى وجود علاقة بين سياسة منح المواطنة ومواجهة الانتفاضات والهجومات المورية.

النص الثاني : ويتحدث عن منح المواطنة الرومانية لزوجة أوريليوس يوليانوس زعيم قبيلة الزيرينسي ولأبنائه، وهي :

"نسخة من رسالة أباطرتنا انطونينوس وكمودوس للاغسطسين إلى فاليوس ماكسيميانوس.

لقد اطعلنا على طلب زعيم قبيلة الزيرينسي بناء على تدخل سلفك ابيديوس كوادراطوس، وقد أنعمنا بالمواطنة الرومانية على زوجته وأبنائه، وحتى نتمكن من تقييده في سجلاتنا (فالرجاء) إخبارنا بعمر كل واحد منهم والكتابة لنا بذلك".

هذا النص عبارة عن رسالة جوابية للإمبراطورين ماركوس أوريليوس أنطونينوس وكمودوس عندما أصبح هذا الأخير إمبراطورا مشاركا للأول في الحكم منذ سنة 176م، على طلب زعيم الزيرينسي الجديد المتعلق بمنح المواطنة الرومانية لزوجته ولأبنائه. مما يؤكد أن الزعيم كان مواطنا رومانيا وأنه ابن يوليانوس السابق الذكر، زعيم العشيرة. وأن زوجته تنتمي إلى القبيلة وليست مواطنة رومانية. ولذلك فإن أبناءه سيظلون غير رومانيين إذا لم يطلب الزعيم لهم

ولأمهم المواطنة الرومانية. بما أن أباه كان وفيا ومخلصا لروما وكذلك ابنه الذي أصبح زعيما للقبيلة ـ بمساعدة الرومان دون شك ـ فإن الإمبراطورين وافقا مبدئيا على الطلب المتعلق بمنح المواطنة الرومانية للزوجة ولأبنائه، وذلك حفاظا على العلاقات الجديدة مع زعيم القبيلة، وبالتالي لإبقاء القبيلة موالية لروما. ولكي تتم جميع الإجراءات المتعلقة بمنح المواطنة فقد طلب الإمبراطوران أعمار المستفيدين.

ويبدو أن هذه الموافقة لم تتم بسرعة لأن زعيم الزيرينسي اضطر لتدخل وكيلين هما : ايبيديوس كوادارطوس سنة 175-176 أولا، ثم فاليريوس ماكسيمانوس سنة 177، بالإضافة إلى الوقت الذي تقطعه المراسلات بين وليلي وروما.

كان الجواب على يد الإمبراطورين ماركوس أوريليوس وكمودوس، يعني بعد مشاركة هذا الأخير في الحكم بعد شهر دجنبر 176. ولذلك فمن المرجح أن هذه الرسالة قد كتبت في روما في بداية سنة 177م، ووصلت إلى وليلي في الثلاثة أشهر الأولى من نفس السنة.

والغريب أن منح المواطنة الرومانية لزوجة زعيم الزيرينسي الجديد يوافق الهجوم الثاني للمور على البيتيك، فهل كان هذا مقصودا أم كان محض صدفة فقط ؟

النص الثالث : ويتعلق بمنح المواطنة الرومانية لزوجة زعيم الزيرينسي وأبنائه وهي : "نسخة مسجلة ومراجعة من سجل المواطنة الرومانية الممنوحة منذ عهد أغسطس المؤله وتيبيريوس القيصر، الأغسطس، وكايوس قيصر، وكلوديوس المؤله، ونيرون وكالبا، والإمبراطورين الأغسطسين فيسباسيان وتيتوس والقيصر دوميتيان والأغسطسين نيرفا، وتراجانوس البارثي، وتراجانوس هادريانوس، وهادريانوس انطونينوس الورع، وفيروس الجرماني الميدي البارثي العظيم/ والإمبراطور القيصر ماركوس أوريليوس انطونينوس اغسطس الجرماني السرماتي، والإمبراطور قيصر لوسيوس اوريليوس كمودوس الأغسطس الجرماني السرماتي. قدم المعتوق اسكيلبيودوتوس هذا النص وهذه نسخة منه :

خلال قنصلية الإمبراطور القيصر أوريليوس كمودوس أغسطس و م. بلوتيوس وفي ليلة السابع من شهر يوليوز بروما.

فكَورة زوجة يوليانوس زعيم قبيلة الزيكَرينسي، البالغة من العمر 22 سنة، ويوليانا عمرها 8 سنوات، وماكسيما 4 سنوات، ويوليانوس 3 سنوات، وديوجينانوس سنتان، أبناء يوليانوس السابق الذكر.

بناء على طلب يوليانوس زعيم قبلية الزيكَرينسي المرسل كملتمس، وبناء على توصية فاليوس ماكسيميانوس الموجهة بواسطة مراسلة ؛ فإننا ننعم عليهم بالمواطنة الرومانية مع الاحتفاظ بكامل حقوقهم داخل قبيلتهم، ودون تخفيض في أتاواتهم والضرائب المستحقة للشعب الروماني وبيت المال الإمبراطوري.

كتبت في نفس اليوم وفي عين المكان وفي عهد نفس القناصل، أنا اسكيلبيودوتوس المعتوق قمت بمراجعة النص.

ويلي هذا النص اثني عشر توقيعا للشهود، مع ذكر أسمائهم والقبائل التي ينتمون إليها.

هذا النص عبارة عن نسخة من السجل الامبراطوري الخاص بمنح المواطنة الرومانية للمحظوظين وهو لاحق للنص الثاني وفيه ذكر لاسم زوجة زعيم القبيلة وأبنائه مع ذكر أعمار كل واحد منهم، مما يؤكد أن زعيم الزيرينسي أجاب التشريفات الإمبراطورية، وبذلك سجلت زوجته وأبناؤه كمواطنين رومانيين في السجل الامبراطوري مع الاحتفاظ بكامل حقوقهم في قبيلتهم.

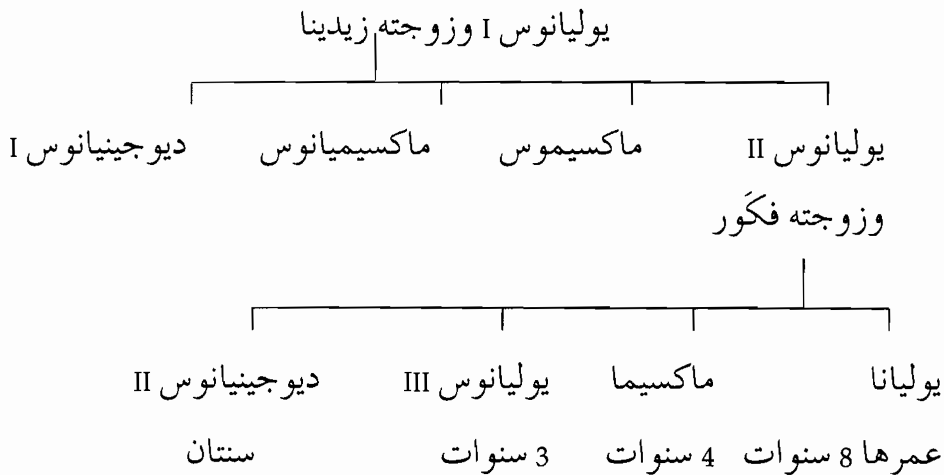
ولقد حدد تاريخ هذا القرار في 6 يوليوز 177م اعتمادا على العبارة «قنصلية الامبراطور ماركوس اوريليوس وبلوتينوس كوينتيلوس وفي ليلة السابع من شهر يوليوز».

إن ملف بناسا الذي تحدث عن عائلة يوليانوس الزيرينسي وتطور حصول جميع أعضائها على المواطنة الرومانية يعطينا نظرة عن الطريقة التي تتم بها عملية الحصول على المواطنة الرومانية، وانتقال زعامة القبيلة من أب إلى ابنه. وتتبعنا كيف

أن عملية الحصول على المواطنة يبدأها وكيل الإمبراطور في الولاية باختيار الشخص المناسب الذي يجب أن تتوفر فيه شروط معينة منها : أن يكون مرموقا في عشيرته، وأن يكون ولاؤه مضمونا لروما، والتأكد من الولاء يأتي بعد أن يتعامل معه الوالي ويجربه، ثم تأتي بعد ذلك عملية المراسلة بين عاصمة الولاية (وليلي) وعاصمة الإمبراطورية (روما) والتي تستغرق مدة طويلة نظرا لبعد المسافة.

وبعد أن يحصل المرشح على المواطنة الرومانية يبدأ الوالي عملية جديدة لإيصاله إلى منصب زعامة القبيلة، وذلك باستخدام الدسائس ومختلف الوسائل، لأنه باحتلاله منصب الزعامة تصبح القبيلة – أو على الأقل جزء كبير منها – مضمونة الجانب ومسالمة للرومان.

وبهذه الطريقة حصل يوليانوس الكبير، كما رأينا في النص الأول، على المواطنة الرومانية مع الموافقة المبدئية على منحها لزوجته وأبنائه سنة 168-169. وفي سنة 176 طلب يوليانوس الثاني الزعيم الجديد للزيكَرينسي خلفا لأبيه يوليانوس الأول، المواطنة لزوجته فكَورة المورية وأبنائه، وهذا ما يتحدث عنه النص الثاني من ملف بناصا (أنظر الجدول المرفق).



جدول خاص بأسرة يوليانوس الزيرينسي

باستثناء اسمي زيدينا وفورة الموريين فإن باقي الأسماء رومانية ولا وجود فيها لأصل موري.

وهذا يعني، أن الوالي الروماني في وليلي أصبح مأمون الجانب من طرف الزيرينسي بعد أن وصل يوليانوس الثاني ابن يوليانوس الأول إلى زعامتها. وفي 6 يوليوز 177 صدر القرار الخاص بمنح فورة، زوجة يوليانوس الابن، وأبنائه المواطنة الرومانية. وبذلك تطلب الحصول على المواطنة الرومانية لعائلة يوليانوس بجميع أجيالها حوالي عشر سنوات من سنة 168-169 إلى 177م، إذ بدأ مع يوليانوس الأول وزوجته وأولاده واستمرت مع يوليانوس الثاني الذي طالب بها لزوجته المورية فورة ولأبنائه.

والملاحظ أن منح المواطنة لهذه الأسرة، وافق فترة عرفت موريطانيا الطنجية فيها أحداثا أخرى منها، بناء سور وليلي، وربما سور بناصا، ومعاهدات الباكوات والرومان، وهجومات المور على البيتيك. وربما تحت ضغط هذه الأحداث اضطر الوالي للبحث عن حلفاء، أو على الأقل إيجاد قبائل موالية ومسالمة لروما. وللوصول إلى القبائل، يلزمه المرور إليها بواسطة الأشخاص، وقد وجد الوالي الشخص المناسب وهو يوليانوس الأول زعيم إحدى أقوى عشائر الزيرينسي. وعليه فإن اتصال الوالي الروماني بزعيم الزيرينسي ليس حدثا مستقلا، ولكنه جزء من الأحداث التي كانت تعرفها موريطانيا الطنجية بين سنة 168-177م (أحداث البيتيك والهجومان الأول والثاني، وتحركات الماكنيت والباكوات ومعاهدات الرومان معهم).

ويمكن أن نستخلص من كل هذا، أن موريطانيا الطنجية كانت تعرف خطين سياسيين متوازيين، فمن جهة نجد ثورات السكان الأصليين، ومن جهة ثانية يقابلها الرومان بطريقتين : إما مواجهتها عسكريا، واما محاولة حل المشكل عن طريق المفاوضات والاتصالات المباشرة مع زعماء القبائل، وإما الجمع بين المواجهة العسكرية والمفاوضات.

ان المفاوضات التي تؤدي إلى عقد المعاهدات ومنح المواطنة الرومانية دليل على عدم استقرار الأمور للرومان في موريطانيا الطنجية، مما حتم على الوالي الروماني

البحث عن الحل السياسي، وذلك بالبحث عن أشخاص مرموقين داخل القبائل ومنحهم المواطنة الرومانية، ومجموعة من الامتيازات، لتحويل قبائلهم من الموقف العدائي عن طريق هؤلاء الأشخاص، إلى الموقف المسالم وربما إلى الولاء لروما، أو على الأقل تحييدها. وفي هذا المجال تظهر قدرة الوالي الدبلوماسية ودهاءه لاستمالة زعماء القبائل وإقناعهم باتباع السياسة الموالية للرومان. وبالفعل فقد أعطت هذه السياسة السلمية المعتمدة على الاتصالات، واختيار الأشخاص المرموقين، وعقد المعاهدات، ومنح المواطنة الرومانية، نتائجها المؤقتة مع بعض زعماء القبائل، وبالتالي مع القبائل : يوليانوس الأول ويوليانوس الثاني بالنسبة لقبيلة الزيكَرينسي، وزعماء الباكوات وزعماء الماكنيت الباكوات، وزعماء البافار الباكوات.

ولا ندري ما إذا كانت قبيلة البانيوري عرفت نفس الأسلوب في المعاملة مع الرومان أم لا ؟ لأنها تقع بين الزيكَرينسي شمالا والباكوات والوليليين جنوبا حسب بطليموس، وهي بالتالي قريبة من بناصا، وتتردد عليها بدون شك[43]. ولذلك فمن المحتمل التفكير في أن الرومان اتبعوا نفس السياسة معهم، وذلك على الرغم من أن الكتابات الإيبيغرافية لا تشير إلى أي شيء من ذلك لحد الآن.

وعلى العموم، فإن السياسة الرومانية المعتمدة على الوسائل الدبلوماسية أخذت تحل مكان السياسة المعتمدة على القوة. وأن منح المواطنة الرومانية ليوليانوس الأول ويوليانوس الثاني يجد معناه الحقيقي في هذا الإطار، كما أن سولبيكيوس فيليكس أعاد نوعا من الاستقرار إلى قطاع سلا بلباقة[44]. ومنذ سنة 140 حصل الزعيم الباكواتي على المواطنة الرومانية[44]. هذا القرار الذي يشير من بعيد إلى السياسة الرومانية التي ستتبع مع الأعيان فيما بعد والتي نفذها ماركوس أوريليوس مع يوليانوس الأول الزيرينسي سنة (168-169)، كما تشهد أيضا على وجود رغبة رومانية في تنفيذ سياسة إدماج نخبة زعماء القبائل في العالم المترومن.

(42) Seston et Euzennat, un dossier, op. cit, p. 3.

(43) René Rebuffat, Les Baniures, un nouveau document sur la géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane, Mélanges. R. Dion, Caesarodunum, IX, Bis, 1974, pp. 451-463.

(44) Carcopino, Le Maroc antique, p. 200-203.

لقد كانت هذه السياسة تستهدف بالطبع، الاحتفاظ بقبيلة قوية موالية للرومان، دون استخدام إمكانيات كبيرة، إذ يعتمد فقط على دهاء الوالي الذي يعرف كيف يختار الشخص المناسب والمضمون الولاء لروما، ويمنحه المواطنة الرومانية، وفي نفس الوقت صنع زعيم آخر ليخلفه كما حصل بالنسبة للزيكَرينسي، ومثل ما وقع للباكواتي أوريليوس كنارطا[45]. وان التشابه في الحالتين : حالة الزيكَرينسي والباكوات يستجيبان لنفس الضروريات.

ولكن هل نجح الرومان في هذه السياسة أم فشلوا ؟

يبدو أنهم فشلوا، لأنهم لم يتمكنوا من الإمساك بزمام القبائل المورية رغم محاولاتهم مع زعمائهم التي استمرت حوالي 140 سنة، وفشل العلاقات السياسية ورومنة نخبة القبائل ستكون له نتائج وخيمة على الوجود الروماني في موريطانيا الطنجية، لأن فشل العلاقات السياسية والدبلوماسية يستدعي وجود بديل لها. وهذا البديل هو المواجهة العسكرية، هذه المواجهة التي كانت دائمة ومستمرة، والتي فرضت في الأخير على الرومان – بعد أن تأكدوا من استحالة القضاء عليها عسكريا أو دبلوماسيا – تنفيذ الحل الوحيد الباقي بأيديهم، وهو تقليص نفوذهم في موريطانيا الطنجية، والتراجع عن جزء كبير منها، والاكتفاء بالمنطقة المحصورة بين طنجة في الشمال ونهر لوكوس في الجنوب.

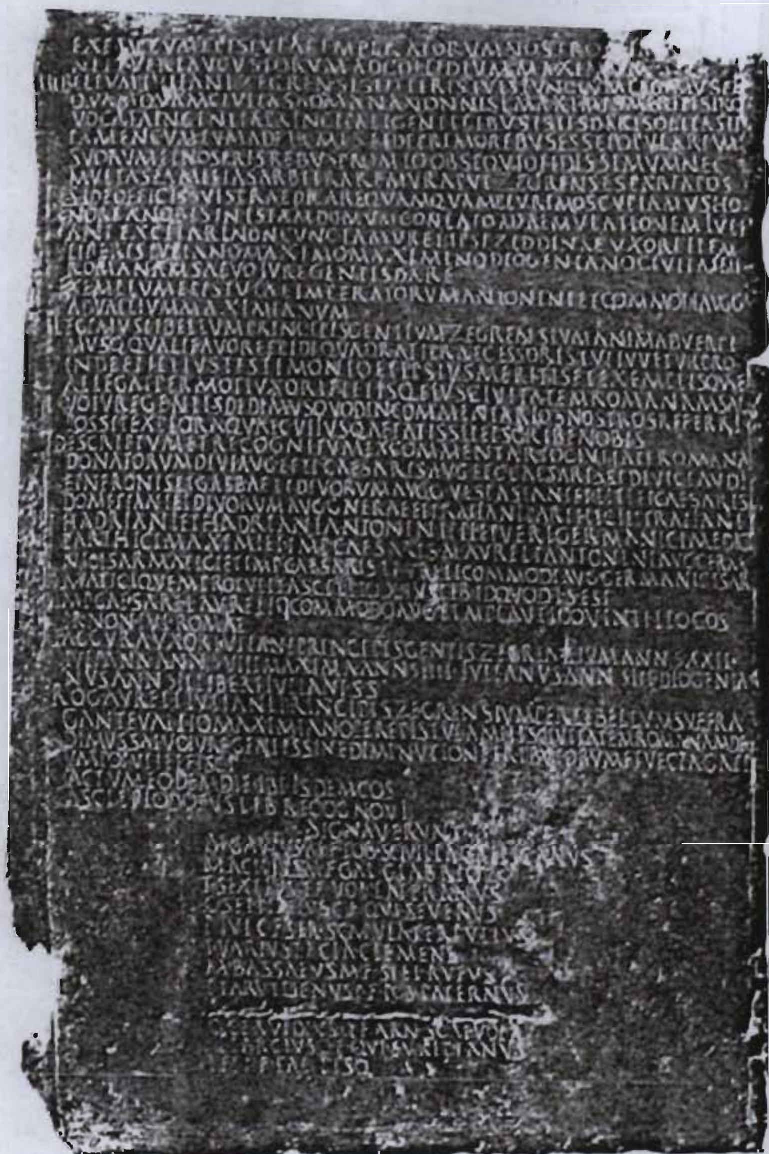
---

(45) Frézouls, Les Baquates, p. 66-75, id, Rome et la Maurétanie tingitane, un constat d'échec, *Antiquités africaines*, 16, 1980, p. 75-82.

خريطة رقم 1 : توطين القبائل المورية



خريطة رقم 2 : توزيع قبائل موريطانيا الطنجية اعتمادا على لائحة بطليموس



الصورة رقم 1 :

تمثل لوحة بناصا، كشفت هذه اللوحة البرونزية سنة 1957 في أحد مرافق حمامات الشرق وعلى تربة عتيقة سبق لرايموند توفنو أن نقب فيها.

والنص منقوش على لوحة من البرونز، أبعادها 42 × 64 سم بينما تبلغ أبعاد المجال الإبيغرافي المستطيل الشكل 38 × 57 سنتم. عن : Euzennat et Seston, La Table de Banasa



الصورة رقم 2 :
شاهد يحمل منحوتة تمثل الرب الأمازيغي ورزيل